4

الباب الرابع

النضال السياسي كوسط هندسي
بين التربية والعنف
الشيخ المحلاوي نموذجًا

obeikan.com

obeikan.com

لاشك أن الشيخ أحمد المحلاوي يأخذ أهميته التاريخية من عدة مسارات :

١- تطور الشيخ أحمد المحلاوي بالحركة الإسلامية في مصر من السبعينيات من حركة حض على مكارم الأخلاق والاهتمام بزي الجماعة وأسلوب التربية وبناء الصف إلى حركة الجهاد السياسي .

٢- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل الطرح الإسلامي المتقدم الذي يترك حقيقة وأبعاد الصراع في المنطقة وبالتالي أولويات المهام الإسلامية . فقد دفع بالحركة الإسلامية صوب اعتبار القضية الفلسطينية : القضية المركزية للحركة الإسلامية وليست أحد وصايا الحركة الإسلامية .

٣- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل رجل الدين الثائر ـ والذي رفض خدمة كل نظام كما يمثل الصلابة الإسلامية والعفة عبر رفض كل محاولات إغرائه بالعمل في دول النفط واختيار الإسلام المريح الذي يدر ريالات ونومًا مريحًا واختار الإسلام الخطر الذي يؤدي إلى السجون والحياة على الكفاف له ولأولاده .

٤- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل القيادة الإسلامية التي تجمع العفة والنزاهة والقدرة على تحريك الجماهير المسلمة .

٥- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل ذلك الفقيه المسلم الذي يقف مع الفقراء والمستضعفين .

ظاهرة النضال السياسي :

طرحت الحركة الإسلامية في السبعينيات أساليب عمل مختلفة منها :

(أ) الحض على مكارم الأخلاق عبر الدعوة إليها .

(ب) بناء الشخص المسلم في مجموعات داخل المساجد وبمعزل عن الجماهير .

(ج) دعوة الجماهير بوهم أنها قادرة على تنظيم كل الشعب أو ٧٥٪ منه كما جاء في بعض الكتابات وذلك لصنع الصف المسلم .

(د) العمل كبديل للجماهير وليس كقيادة لها . وهكذا وبصرف النظر عن مدى انطباق ذلك بالكامل أو انطباقًا هندسيًا على واقع الحركة الإسلامية في السبعينات وبصرف النظر عن ظروف الضربات القاسية والتصفيات الرهيبة

والمعاملة الوحشية التي لاقاها أبناء الحركة الإسلامية . فإنه لابد من وقفة مع تلك المقولات والتي تجعل المرء المسلم في ممارسة للنقد والنقد الذاتي يقف بالكامل مع أسلوب الشيخ أحمد في النضال السياسي .

طرح الشيخ أحمد المحلاوي في مواجهة ما سبق ـ طرح أسلوب النضال السياسي بالمعنى الإسلامي .

إن الله سبحانه وتعالى حين خلق الأرض وجعل الإنسان خليفة لها فإنه سبحانه قد صممها بشكل رباني مكتملة الحكمة وملبية درجات الإنسان . وبالمقابل فإنه أعطى الإنسان العقل وجعله قادرًا على الخلافة في الأرض وزوده بكل ما يحتاج إليه في تلك الخلافة .

لقد صمم الله سبحانه الكون كله لخدمة الإنسان من ناحية ويقوده، الإنسان ببساطة شديدة إلى الله في كل صغيرة وكبيرة في هذا الكون . إن كل ما في هذا الكون يقود إلى الله .

وخلق للإنسان عقله الذي يستطيع به وبسهولة تامة الوصول إلى الله ومعرفته .

وهكذا فإن الكون والعقل معًا يقودان إلى الله .

ولم يكتف بذلك بل إن الله قد أودع في فطرة الإنسان وجود الله ويأخذ عليه ميثاقًا قبل أن يستخلفه في الأرض .

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف].

كما أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الإنسان من فترة إلى أخرى وذلك الميثاق عبر الأنبياء والكتب السماوية والعلماء الذين يدعوان إلى الله .

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى قد أقام على الناس الحجة الكاملة ولكن القوى الشيطانية وبالمقابل وضمن سنن الله سبحانه وتعالى كان عليها أن تحاول منع الإنسان من الوصول إلى الله .

ولما كان العقل والكون وكل شيء يقود إلى الله وأن التفكير الحر البسيط يقود إلى منهج الله ببساطة شديدة فإن القوى الشيطانية قد حددت دورها في :

١- منع الإنسان من حرية التفكير ـ وحرية المناقشة ومختلف الحريات السياسية ـ حتى لا يسمع الإنسان إلا صوتًا واحدًا وهو صوت الضلال ، ذلك أن تلك القوى تدرك أن إطلاق حرية الإنسان سوف يقود إلى اختيار الإنسان لطريق الله سبحانه وتعالى .

وبالتالي يترتب على القوى الإسلامية أن تقف مع إطلاق كافة الحريات السياسية ، لأن ذلك يقود الجماهير إلى الله .

٢- قمع الإنسان اقتصاديًا وحرمانه ودعم الطبقات المستغلة التي تكبل الإنسان بما أنه غارق في تأمين لقمة عيشه ـ من الوصول إلى الله .

وبالتالي فإن القوى الإسلامية تتصدى لكافة أشكال الظلم .

٣- إغراق الإنسان في الضلالات الاجتماعية المختلفة التي تعوقه عن الوصول إلى الله مثل الدعوات القومية والعرقية العنصرية والتعصب للوطن أو العائلة والقبيلة .

ولذا فإن القوى الإسلامية عليه أن تسقط كل تلك الانتماءات لتحرر الجماهير منها .

ولقد أدرك الشيخ أحمد المحلاوي ذلك وبالتالي فإنه فهم دور الحركة الإسلامية التي عليها أن تزيل كل تلك العقبات ثم تترك الناس حرية الاختيار .

وهكذا اختار الشيخ أحمد المحلاوي أسلوب النضال السياسي للتصدي مباشرة لمعالجة الجذور وبالتالي فقد وبصلابة مع :

١- إطلاق حق الجماهير في التفكير والمناقشة وحق الاجتماع وحق التظاهر وحق إصدار الصحف وحق إقامة التنظيمات العلنية مستقلة .

٢- وقف الشيخ أحمد بصلابة مع الفقراء ودعا إلى العدالة الاقتصادية وحق كل إنسان في المأكل والمشرب والمسكن والمواصلات .

٣- وقف الشيخ أحمد ضد كل أساليب التجهيل من دعوات وطنية أو قومية أو قبلية .

وهكذا أدرك الشيخ أحمد المحلاوي أنه بإسقاطه للاستبداد السياسي والظلم

الاقتصادي والتجهيل الاجتماعي فهو في الحقيقة يدفع الناس إلى الإيمان بالإسلام بيسر وسهولة مع الأخذ في الاعتبار أن انحدار الأخلاق ـ وخلاعة المرأة وغيرها ما هي إلا نتائج وأن الإصلاح الصحيح يبدأ من الجذور فالإسلام أصلا تحرير الإنسان من كافة القيود السياسية والاجتماعية وتركه يختار بحرية .

وقد رفض الشيخ أسلوب التربية بمعزل عن الجماهير فالحقيقة أن الدعوة الإسلامية موجهة أساسًا لكل الناس وعلى الجميع أن يدركوا أنهم ليسوا فرقة جديدة بل عليهم أن يناضلوا مع الجماهير في مشاكلهم اليومية وأن يلتحموا بها كأعمق ما يكون الالتحام وأيضًا رفض الشيخ أحمد مسألة تكفير الناس . فقبل أن نحكم على الناس علينا أن نحررهم من كل العوائق والسدود ثم نحكم عليهم .

(٢)

فهم الشيخ أحمد المحلاوي بوعيه الإسلامي الفذ حقيقة الصراع في المنطقة وأدرك أن إسرائيل في النهاية ليست إلا رأس جسر للقوى الشيطانية تستهدف قلب الأمة الإسلامية وأن توجهها الحقيقي هو الإسلام والجماهير المسلمة .. وأن أهم أهداف إسرائيل هو تطويق حركة الجماهير المسلمة وصرفها عن مهماتها وإغراقها في مشاكلها ليسهل لها بلع العالم الإسلامي وتدميره النهائي . وهكذا فإن الشيخ أحمد أدرك أن الصراع مع إسرائيل هو مع الجماهير المسلمة وحرياتها وأرضها وخبزها وهكذا فقد أدرك أن حرب التحرير الشعبية الإسلامية هي السبيل الوحيد لتحرير الأمة الإسلامية من الخط الصهيوني ، ولذا فقد رفع شعار أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية في هذه المرحلة ولم يساو بينها وبين غيرها من القضايا مع أهمية القضايا الأخرى .

(٣)

الشيخ أحمد المحلاوي يمثل رجل الدين الثائر . ولقد حاول الاستعمار بكل أجهزته ووسائله خلق انفصام بين العالم المسلم وبين الجماهير وخلق جو من عدم الثقة بينهما ، وذلك أن الاستعمار يدرك أنه بذلك ينفرد بتلك الجماهير بدون سلاحها العقيدي ويحمله بأسلحة زائفة من صنعه مثل الاشتراكية

والليبرالية والقومية وغيرها ليسهل عليه بعد ذلك هزيمة الجماهير وصرفها عن واجباتها وتحويلها إلى كيان لا وجود له وبالتالي إلى عبيد لخدمة مصالحه ومن ثم القضاء النهائي على الإسلام وعلى الجماهير المسلمة التي هي في الحقيقة الخطر الحقيقي على الاستعمار .

ولقد وقف الشيخ المحلاوي ضد كافة أساليب الترغيب والترهيب شامخًا . وقف مع الجماهير ولم يخنها عبر تركها وحيدة للذهاب حيث البترول والريالات والإسلام المريح . ولم يخنها عبر إغلاق بابه في وجهها ولذلك فإن الشيخ المحلاوي وبما أنه جزء من تلك الجماهير المسلمة الفقيرة فقد أصبح رائدًا لها :

الشيخ المحلاوي يسكن فوق سطح إحدى العمارات في غرفتين فقط .

الشيخ المحلاوي يتواجد في الحي الذي يسكن فيه بشكل مستمر عبر مشاركة الجماهير في كل مشاكلها اليومية وبالتالي فإنك في أي مكان في حمامات كليوباترا بالإسكندرية تستطيع أن تستدلي من أي شخص ـ رجل أو امرأة عجوز أو حتى طفل ـ على مسكن الشيخ أحمد .

(٤)

الشيخ أحمد المحلاوي وانطلاقًا مما سبق فقد أصبح موضع ثقة الجماهير وهو في الأصل يثق فيها وبالتالي فهو قادر على تحريكها في أي لحظة وفي الاتجاه الصحيح والشيخ أحمد يثق في الجماهير تمامًا ولا يتصرف بديلاً عنها ولكنه يسلحها بالوعي لتخوض هي معاركها بنفسها فهي صاحبة المصلحة في تلك المعارك وبالتالي فقد أسقط وهم أن يتصرف الإسلاميون بديلاً عن الجماهير .

(٥)

الشيخ أحمد يقف مع المستضعفين في كل مكان من العالم ويدافع عن حقوق الفقراء تمامًا ويدرك أن الحماية الحقيقية للطليعة المسلمة هي الجماهير وأن بناء الصف الإسلامي الطويل مهما طال فإنه يسهل ضربه . بل إن عليه أن يسلح الجماهير بالوعي ويقف معها ويخوض معها معاركها حتى النهاية فلسنا بديلاً للجماهير مهما كبر صفنا الطويل وأن حكاية دعوة الناس حتى يصبح ٧٥٪ من

الناس منظمين إنما هو وهم تاريخي ولم يحدث في تاريخ الدعوات الربانية ولكن على المسلم والداعية أن يدافع عن حقوق الجماهير المستضعفة فإن هذا هو السبيل الوحيد لتحريرها وتحقيق إسلامها فالإسلام منهج طليعة مؤمنة تقود أوسع الجماهير وبخاصة المستضعفة في اتجاه انتزاع حقهم في الحريات والحياة الكريمة وحق اختيار عقائدها ومشاركتها في رسم مستقبلها .

حياة الشيخ أحمد المحلاوي :

ولد الشيخ أحمد المحلاوي في إحدى قرى كفر الشيخ بمصر ونشأ يتيمًا وحفظ القرآن وقد عانى مثلما يعاني كل الفقراء من شظف الحياة والعمل بأجر يومي لدى المستكبرين وهكذا تحمل مسئوليته تجاه أسرته وهو في سن صغيرة .

ترعرع الشيخ أحمد في جو الفقراء والقرآن الكريم فخرج مسلمًا ثوريًا لأنه لم يمارس يومًا الاستكبار أو الترف .

وقد اختار أن يدخل كلية اللغة العربية وهكذا فقد كان هذا مدخلا رائعًا ليفهم القرآن ويتفاعل معه .

مارس الشيخ أحمد في كلية اللغة العربية بالأزهر النضال السياسي كما يمارسه الأزهريون الشرفاء لتعديل أحوال الأزهريين وإصلاح أسلوب الدراسة في الأزهر.

تخرج الشيخ من كلية اللغة العربية وكان خريجو تلك الكلية يعملون بالتدريس ولكنه رفض مهمة التدريس معلنا أنه لا بد أن يكون إمامًا في مسجد لأن هذا هو دور المسلم الأزهري الواعي واختار العمل بالمساجد مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك العمل كان غير مجز ماديًا وهو في السلم الاجتماعي السائد أقل من مهنة التدريس (كان ذلك في أواخر الخمسينات) .

بدأ الشيخ أحمد حياته كإمام في إحدى قرى محافظة كفر الشيخ وقد قام بتعبئة الفلاحين للتضامن فيما بينهم وأسس منهم جمعيات تعاونية للبر والتعاون على قضاء حاجاتهم مثل مساعدة الأسر الفقيرة ووصل به الأمر أنه قاد الفلاحين لرفض كل ما هو غير إسلامي في الحياة اليومية وفي فترة قصيرة أصبح زعيمًا حقيقيًا لفلاحي القرية .

وقد بدأ الشيخ أحمد دروسًا خصوصية داخل المسجد لأبناء وبنات الفلاحين مستغلا ذلك في توعيتهم بالوعي الإسلامي الصحيح وتعويدهم على الصلاة ذكورًا وإناثًا كما أنه شيئًا فشيئًا دعا الفتيات إلى الزى الإسلامي .

نقل الشيخ أحمد إلى الإسكندرية وعمل بمسجد القائد إبراهيم واستمر في سعيه في الاندماج مع الجماهير المسلمة فاستمر في عمل الدروس الخصوصية في كافة التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي . كما قام بإعطاء دروس الإسلام عقب الصلوات وبمواعيد محددة ولم يقتصر على مسجد القائد إبراهيم بل سعى إلى كل المساجد .

ولقد خطا الشيخ أحمد خطوة رائدة إلى الإمام وذلك بتدبير وتوفير الأجهزة العلمية مثل الميكروسكوبات وغيرها والشرائح العلمية لطلبة الكليات العملية داخل المسجد ودعا الأساتذة المسلمين إلى إلقاء المحاضرات العلمية على طلبة الجامعة بالإسكندرية . وهكذا فإن الشيخ أحمد قد جعل محور الحركة ومركزها داخل التجمعات السكانية وخصوصا الفقيرة في الإسكندرية .

دعا الشيخ أحمد إلى زيادة الأجور وتخفيض الأسعار والمساواة الاجتماعية وندد بسياسة إفقار الجماهير بزيادة أسعار السلع دون أن يقابلها زيادة في الأجور .

وقف الشيخ أحمد بشدة ضد تزوير الانتخابات في الجامعات المصرية ودعا إلى إطلاق الحريات السياسية وإلى العدل الاجتماعي وحق الجماهير في الحياة الكريمة وحرية إصدار الصحف وتشكيل الأحزاب العلنية وحق الاجتماع والتظاهر وحرية إبداء الرأي .

دخل الشيخ أحمد المحلاوي انتخابات مجلس الشعب في ١٩٧٩ ضمن مجموعة من المرشحين المسلمين وأعلن برنامجه الانتخابي كل من عادل عيد المحامي والشيخ محمود عيد وغيرهم في الإسكندرية داعيًا إلى :

١ـ رفض الانفتاح وسلوك النمط الإسلامي في التنمية .

٢ـ حق الجماهير في الحريات والحياة الكريمة .

٣ـ رفض كل الاستبداد .

٤ـ ربط الأجور بالأسعار .

٥ـ رفض سياسة كامب ديفيد والتصالح مع رأس الهجمة الاستعمارية في الوطن المحتل .

ولكن النظام قام بتزوير الانتخابات مما جعل جماهير الإسكندرية على وشك الانفجار .

كان الشيخ أحمد يتصدى بشكل مستمر لمشاكل المسلمين اليومية في خطب الجمعة مما دفع أوسع الجماهير إلى الذهاب إلى مسجد القائد إبراهيم لسماع خطبه وذلك لأنه يعبر عن همومهم فلقد ناقش الشيخ أحمد في خطبه مشكلة الإسكان والمواصلات والغلاء والصراع مع اليهود والحريات العامة وغيرها .

وهكذا صعد الشيخ أحمد بسرعة إلى قيادة الجماهير في الإسكندرية لأنه وبالتحديد كان يوجه النقد إلى المسئول عن الإهمال والقصور محددًا أن لكل مسلم حقًا في رقبة رئيس الجمهورية مباشرة وأن رئيس الجمهورية بالتحديد هو المسئول الأول وأن أي خطأ أو قصور أو انحراف يمارسه أصغر مسئول فإنه يقع على عاتق رأس النظام وهكذا فقد قفز بوعي الجماهير خطوة هائلة إلى الأمام وأصبحت الثقة بينه وبين الجماهير قوية لدرجة لا يمكن فصمها .

رفض الشيخ أحمد من موقعه على المنبر كل أشكال الترف والبهرجة مثل إنفاق (٢٠مليون جنيه) على افتتاح قناة السويس معلنا أن هناك الكثيرين الذين لا يجدون مساكن كان من الأجدى أن تبنى بتلك الأموال مساكن لهم بدلا من سكناهم في القبور .

رفض سياسة الانفتاح لأنها تربط اقتصادنا بالغرب الذي لا يضمر لنا أي خير ودعا إلى سلوك نمط خاص في التنمية الاقتصادية يعتمد على الشريعة الإسلامية وعلى الاقتصاد الإسلامي .

استمر الشيخ أحمد في تنديده المستمر بسياسة كامب ديفيد معلنا أن لا صلح مع دولة اليهود لأنها كيان استعماري يستهدف قلب الأمة المسلمة وأن لها

توجهات عقائدية وتاريخية وأن التناقض بيننا كمسلمين وبينها تناقض لا يحله إلا فناء أحد الطرفين . فهي تستهدف حضارتنا وديننا وأرواحنا .

وهكذا فإن الشيخ أحمد كان الوجه الصحيح لنضال المسلمين في تلك المرحلة مما جعل الشرفاء من السياسيين يميلون إلى الاتجاه الإسلامي واتخذوا من مسجد القائد إبراهيم مجالا للحركة وعمل الندوات ، ولذا فقد أصبح مسجد القائد إبراهيم هو قيادة المعارضة في مصر جميعها وجاء إليها كل المعارضين ليلتقوا بالجماهير مباشرة .

ولم يكتف الشيخ أحمد بذلك بل أنه جاب كل قرى مصر ومدنها وجامعاتها داعيًا إلى الإسلام الحقيقي .

وقد ندد الشيخ أحمد المحلاوى باستقبال السادات لشاه إيران معددا جرائم الشاه وأعلن أن مصر الإسلامية لا يليق بها أن تستقبل جلادي الشعوب وسفاحيها وسافكي دمائها .

أيد الشيخ أحمد بلا تحفظ عملية احتجاز الجواسيس الأمريكان في وقر الجاسوسية الأمريكية في إيران وأعلن أن على كل مسلمي العالم أن يقفوا ضد الشيطان الأكبر أمريكا .

وهكذا فإن الشيخ أحمد قد أصبح بما يملك من وعي فذ ومن ثقة الجماهير يمثل خطرا حقيقيا على النظام وعلى المصالح الأمريكية التي يفضحها أسبوعيا وقد دعا إلى إلغاء القواعد الأمريكية (في رأس بناس على شاطئ البحر الأحمر) وهكذا تحرك المستكبرون ليضعوا سدا بين الشيخ وبين الجماهير .

بدءوا بإغرائه في العمل في دول النفط وبالبعثات إلى أوروبا والعمل في المراكز الإسلامية ولكنه رفض أن يخون الجماهير .

وهكذا جاء القرار بإيقاف الشيخ أحمد عن العمل ومنعه من خطبة الجمعة لينفصلوا بين الرجل وجماهيره .

ولأن الشيخ أحمد كان أملاً للجماهير المسلمة . وقد دافع دائمًا عنها وقد عرفها وعرفته فإن تلك الجماهير رفضت القرار تمامًا وتدافعت الملايين إلى

مسجد القائد إبراهيم وأصبحت منطقة المسجد تغص بالجماهير المليونية التي تداعت إلى التظاهر لعودة الشيخ أحمد وقد أسقط في يد قوات الأمن التي جاءت بعرباتها بل ومدرعاتها التي أطاحت بها الجماهير من كل جانب، بل إن بعض الجماهير قد ركبت هذه العربات والمدرعات وتبادلت الحديث مع الجنود الذين يقفون بقلوبهم مع الشيخ أحمد ، وبدا أن مظاهرة مليونية ستخرج وأن عصر الجماهير المسلمة سيبدأ ولكن المرجفون والمثبطون دعوا الجماهير كالعادة إلى الهدوء والحذر والحكمة .. إلخ .

واستطاعوا أن يفرغوها من الحماس وهكذا انصرفت الناس وظل الشيخ وحيدًا بعد أن كان محروسًا من الملايين التي كانت قادرة على حمايته وإرجاعه إلى مكانه في المنبر وكانت قادرة على ما هو أكثر من ذلك لولا المثبطون ودعاة الحكمة .

وهكذا بعد أن فقد الشيخ أحمد الدرع سهل على النظام اعتقاله ولكن الرجل صمد صمود الأبطال في معتقله حتى أفرج عنه .

ولكن هناك إشارة نود أن نسجلها قبل أن ننهي هذا الفصل وهي : لماذا كان السادات منفعلاً أشد الانفعال تجاه الشيخ أحمد المحلاوي ، العالم المسلم الفقير لدرجة أن يطلب من زبانيته معاملته بوحشية وإيداعه السجن الخاص بالمجرمين الخطرين ؟! بل إن الطاغية وعلى شاشة التليفزيون وبدون حياء يصف الشيخ الأعزل بأنه ملقى كالكلب في زنزانة انفرادية !!

إن انفعال النظام وحقده في معاملة الشيخ أحمد جاء بلا شك لأن الشيخ طرح الإطار الصحيح للعمل الإسلامي وهو النضال السياسي الجماهيري الإسلامي ، وأدرك أن العمل هو مع الناس وبهم وليس بديلاً عنهم ، وأن تبني وحمل هموم الأمة وإطلاقها هو الطريق الصحيح نحو التغيير الإسلامي .

إن رد فعل النظام وحقده إشارة هامة إلى أن هذا الخط الذي انتهجه الشيخ أحمد كان خطًا صوابًا وإشارة كذلك إلى الجماهير المسلمة والقيادات الواعية في مصر الإسلام إلى انتهاج هذا الطريق من أجل أن يشرق حكم الله ومجتمعه ثانية على أرض الكنانة .

الشيخ ودور المسجد في المجتمع

منذ الوهلة الأولى لاستلام الشيخ عمله سواء في البرلس أو في مسجد سيدي جابر أو في مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية والشيخ يدرك أن أمانة الله قد حملها . كان يدرك أن العلماء هم ورثة الأنبياء وقرر الشيخ أن يؤدي الأمانة . كان المسجد دائمًا هو محور الحياة بالنسبة للمجتمع الذي يوجد فيه هذا المسجد ففي قرية البرلس محافظة كفر الشيخ كان المسجد مكانا لتدريس الدين الإسلامي الحنيف ومكانًا لمحو الأمية وإقامة الدروس العلمية للطلاب ومناقشة مشاكل مجتمع القرية المشاكل الزراعية والاجتماعية والأسرية كان المسجد يقوم بدور العمودية وقسم الشرطة . يقوم بدور الشئون الاجتماعية ويقوم بدور الأجهزة الشعبية والمحلية . والمنازعات تفض داخل المسجد ويحكم فيها الشيخ أحمد ويقبل الناس حكمه برضا كبير وطيب نفس لأن الشيخ علمهم أن العلماء يوقعون عن رب العالمين . الفقراء تُجمع لهم الأموال وتوزع عليهم من داخل المسجد . الجميع يأتمن الشيخ أحمد على أسراره الأسرية والشخصية والشيخ أحمد بوجههم المشاريع العمرانية الخاصة بالقرية يقوم الشيخ أحمد بها من داخل المسجد . لم تعد القرية بحاجة إلى العمدة أو المأمور أو موظف الشئون الاجتماعية أو المحاكم أو غيرها كان المسجد محور كل شيء . وكان شيخ المسجد هو المرجع في كل شيء . يحمل هموم الفقراء ويصلح المتخاصمين . يزوج ويطلق ويفتى في كل الشئون وارتبط الناس بالمسجد أيما ارتباط وأصبح من النادر أن تجد إنسانًا في القرية لا يصلي ولا يغشى المسجد في كل صلاة .

وجاء الشيخ أحمد إلى مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية وكان من الطبيعي أن يواصل الشيخ رسالته التي حملها باعتباره عالمًا من علماء الإسلام . ومارس الشيخ دوره . وتتابعت حلقات محو الأمية . ودروس الدين بين المغرب والعشاء . واستدعى الشيخ المدرسين وأساتذة الجامعة بالمنطقة يقوموا بالتدريس للطلاب

ولم يكتف الشيخ بهذا بل اشترى بالجهود الذاتية الأجهزة العلمية المطلوبة للطلاب مثل الميكروسكوب والشرائح وغيرها . واستمر الشيخ في أداء دوره في فض المنازعات وجمع الأموال للفقراء ودعي الشيخ إلى ارتداء الزي الإسلامي للبنات واستجاب أهل المنطقة . وأصبح الشيخ والمسجد هي محور الحياة الاجتماعية في المنطقة وكان من الطبيعي أن يناقش الشيخ في خطب الجمعة القضايا السياسية التي تهم الإسكندرية ومصر عمومًا .

موقف الشيخ من القضايا السياسية والاجتماعية

أدرك الشيخ أن عالم الدين الإسلامي ليس كغيره من علماء الأديان الأخرى فعلماء الدين مطالبون أمام الله ثم الأمة بالتصدي لمشاكل الأمة ومناقشة قضاياها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأن يحمل هموم الأمة فوق كتفيه وإلا فإن حسابه أمام الله سيكون عسيرًا .

وفي كل مرة كان الشيخ يصعد المنبر ويشعر أنه يقف في المكان الذي وقف فيه رسول الله ﷺ كان يشعر بمسئولية ضخمة وبالتالي يناقش مشكلة من مشكلة الأمة وإلا فإن خطبته خيانة وخصوصًا أن الأمة الإسلامية في حالة انحطاط وتعاني من مشاكل ضخمة .

موقف الشيخ من قضية الحريات

حدد الشيخ موقفه من الحريات بوضوح شديد منذ اللحظة الأولى . أعلن الشيخ أن الإسلام هو الإيمان بالله وإقامة مجتمع الحرية والعدل وفقًا للشريعة الإسلامية . كان الشيخ يكرر في كل خطبة على حقوق الأمة تجاه حكامها . حقهم في الاعتراض السلمي وإقامة كياناتهم السياسية والنقابية المستقلة . وحقهم في إصدار الصحف ومناقشة قضاياهم بحرية ـ حقهم في الاجتماع وحقهم في التظاهر السلمي وهكذا أصبح مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية كعبة الحرية لقد جاء إلى المسجد كل من أراد أن يعبر عن رأيه بحرية لقد أصبح المسجد قلعة الحرية جاء إليه السياسيون وفتح لهم الشيخ صدره ومسجده وأقيمت الندوات في مختلف القضايا وكان الأستاذ محمد حلمي مراد وفتحي رضوان وكمال الدين حسين يذهبون إلى المسجد ويقيمون الندوات برعاية الشيخ وتحت إشرافه .

ولقد وقف الشيخ وقفة شجاعة ضد تزييف الانتخابات وخصوصا سنة ١٩٧٩ كما وقف الشيخ بجانب الطلاب في مطالبهم الخاصة بالانتخابات الطلابية وشجب الشيخ من على المنبر تصرفات الحكومة تجاه الطلاب حينما قامت إدارة جامعة الإسكندرية بشطب أسماء بعض المرشحين لاتحاد الطلاب .

كما وقف الشيخ مع حق النقابات في انتخابات ممثليهم بحرية وأعلن الشيخ أكثر من مرة تضامنه مع المعتقلين السياسيين وتعجب من تشدق النظام بسيادة القانون التي أصبحت حبرًا على ورق على حد قول الشيخ كما تضامن الشيخ مع الأسر المصرية في الصعيد التي تعاني من اعتداءات الشرطة أثناء التفتيش على السلاح في الصعيد .

موقف الشيخ من قضية العدالة الاجتماعية

دأب الشيخ أحمد المحلاوي في خطب الجمعة على شرح حقوق المسلم على

الحاكم؛ حقه في مسكن مريح وحقه في طعام متوفر ورخيص وحقه في مواصلات مريحة . وهكذا كان الشيخ دائمًا يناقش مشاكل المواصلات ومشاكل الإسكان ومشاكل الرغيف ومشكلة الأجور والأسعار .

كان الشيخ ينتقد ببذخ الرئيس السادات في بناء الاستراحات في وقت يسكن فيه الشعب المصري في المقابر . كما انتقد الاحتفالات المكلفة التي يقيمها السادات في كل مناسبة وعلى سبيل المثال حفل افتتاح قناة السويس وأعلن الشيخ أحمد من على المنبر أنه كان أجدى للشعب بناء ثلاثة آلاف وحدة سكنية بدلًا من احتفال الافتتاح . كما انتقد الشيخ أحمد المحلاوي ببذخ السيدة جيهان السادات زوجة الرئيس الراحل وانتقد تصرفاتها كما انتقد تصرفات عصمت السادات في الميناء وغير الميناء .

في خطب الجمعة كان الشيخ أحمد يناقش المشكلة الاقتصادية ويحلل أسبابها معلنًا أن إقامة مجتمع لا طبقي هو هدف الإسلام ويجب أن نطبق الاقتصاد الإسلامي حتى لا يبقى فقير أو عاطل في مصر . دعا إلى عدم ربط اقتصادنا بالشرق أو الغرب وأن التنمية الحقيقية لابد أن تعتمد على شعبنا وفقًا لدينه وتراثه وتركيبه الشخصي وأن الارتباط بالشرق أو الغرب هو سبب أزماتنا . وأن الغرب والشرق لن يكونا قط مخلصين في مساعدة شعبنا على النهوض بل العكس هو الصحيح . وأن الاستقلال الحقيقي هو بناء نمط من التنمية غير تابع للشرق أو للغرب .

وقف الشيخ أحمد ضد الانفتاح مما جره علينا من فساد اقتصادي وأخلاقي، ورفض الشيخ أحمد السماح ببنوك أجنبية في مصر حيث أنها سوف تقوم باستنزاف مواردنا ولن تشارك في التنمية .

دعا الشيخ أحمد إلى ربط الأجر بالأسعار ودافع عن العمال والفلاحين ودعا إلى إصلاح أحوال المناطق الشعبية من حيث مياه الشرب والمجاري ورصف الطرق وغيرها من الخدمات ودعم قصر ذلك على الشوارع التي يسكنها كبار المسئولين .

موقف الشيخ أحمد من الاستعمار والصهيونية

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الجهد الرئيسي للشيخ أحمد تمثل في اهتمامه بقضية الاستعمار والصهيونية .

لقد وضح الشيخ أحمد أن الاستعمار ليس مجرد احتلال عسكري إنه يكمن في كل توجه سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي مرتبط بالشرق أو الغرب وحدد الشيخ أحمد أنه لكي نصبح مستقلين لابد من تصفية النفوذ الاستعماري في توجهاتنا السياسية . يجب ألا نرتبط بأحلاف عسكرية أو سياسية ويجب ألا نسمح بقواعد أجنبية على أرضنا . يجب أن يكون توجهنا السياسي تجاه التكامل والوحدة مع العالم الإسلامي . يجب دعم الشعوب الإسلامية المضطهدة بل يجب دعم كل المستضعفين والمضطهدين في العالم .

لقد حيا الشيخ أحمد الثورة الإسلامية في إيران ورفض استقبال السادات للشاه في مصر لأن هذا استفزاز لمشاعر المسلمين والشاه جلاد ومجرم . فكيف نستقبل حاكما أذل شعبه واضطهده ونكل به .

كما دعا إلى التضامن مع الشعب الأفغاني المسلم ضد الاحتلال الروسي البشع . وأعلن الشيخ أحمد أنه لابد من تصفية الأشكال الاقتصادية من إقطاع ورأسمالية لأنها مرتبطة بالاستعمار والاستقلال الحقيقي يعني إقامة مجتمع يقوم على الاقتصاد الإسلامي .

كما حدد الشيخ موقفًا واضحًا تجاه زرع التقاليد الغربية في الثقافة والتعليم والأزياء ونادى بضرورة رسم السياسات التعليمية والثقافية والدينية بشكل إسلامي وخرج من مسجد القائد إبراهيم شعار أن الزي الإسلامي أحد وسائل الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية .

ودعا الشيخ أحمد إلى تطبيق القانون الإسلامي ؛ لأن القانون الفرنسي

المعمول به في محاكمنا يعني أننا مازلنا مستعمرين . فكيف ندعي أننا مستقلون والقانون الذي نتحاكم به قانون استعماري وطالب بضرورة تصفية الوجود الاستعماري في القوانين واستبدالها بالتشريع الإسلامي الحنيف .

القضية الفلسطينية

وبالنسبة للقضية الفلسطينية ، فإن تلك القضية ووفقًا لرؤية الشيخ هي القضية المركزية للعالم الإسلامي وبالتالي فهي أهم قضية تواجهنا وبالتالي فإن من النادر أن تجد خطبة من خطب الشيخ لم تتطرق لمناقشة تلك القضية كالآتي :

- الاستعمار والصهيونية هما آخر أشكال القوى الشيطانية تتآمر على أمتنا .
- المجتمع الإسرائيلي مجتمع توارتي حتى النخاع .
- المسلم والمسلمة وحده هو القادر على مواجهة الكيان الصهيوني لأن حياته وحضارته ودينه ومصالحه هي المستهدفة .
- أن الصراع مع إسرائيل صراع حضاري . يمتد في جغرافيا وتاريخ المنطقة بشكل جذري وأن محاولة تكييف الصراع على غير هذا الأساس يعد خيانة للأمة يسحب أهم أدوات في الصراع وهي العقيدة الإسلامية والحرب الشعبية طويلة المدى .
- رفض كافة أشكال المساومة والمفاوضات والصلح مع إسرائيل على أساس أنه لا توجد نقط التقاء بين أمتنا وبين إسرائيل فانتصار أي منهما يعني فناء الأخرى .
- وانطلاقًا مما سبق كان موقف الشيخ أحمد الصلب في رفض كامب ديفيد بل إن مسجد القائد إبراهيم أصبح مركز المعارضة الرئيسي لكامب ديفيد في مصر .

قصتي مع السادات أيام الصدام الأخير

في ذلك الصيف من عام ١٩٨١ . كانت سماء مصر كشأنها في الصيف صافية . وكانت الإسكندرية مثل كل مدن وقرى مصر تشهد نوعين من البشر . نوع يصطاف على الشواطئ ونوع آخر يحمل هموم مصر . يعاني من الفقر والجوع والخوف . يشعر بالمرارة تجاه ما تم من تصفية لقضية المسلمين الأولى (القضية الفلسطينية) في كامب ديفيد . فيجرع المذلة حينما يرى اليهود وقد جاءوا من كل حدب وصوب ليدخلوا مدن مصر وقراها باسم السياحة وباسم التطبيع (تطبيع العلاقات وفقًا لمقررات كامب ديفيد) كان الأمر قد بلغ حدًا لا يحتمل وخصوصًا بعد أن استغل القطاع الانعزالي داخل الأقباط في مصر مأزق النظام للضغط عليه وانتهاك حرمات المسلمين في المساجد وفي خارج المساجد ووصل الأمر إلى حد إطلاق الرصاص مباشرة على المصلين في الزاوية الحمراء وقتل المسلمين جهارًا وكان من الطبيعي أن الفقراء والمستضعفين وعموم الأمة تتجه في ذلك الوقت العصيب إلى العلماء المجاهدين لتلوذ بهم كشأن الأمة دائمًا .

وكان من الطبيعي أن تتجه النخبة المغتربة المعادية للأمة إلى الحركة السريعة لفصم العلاقة التاريخية بين الأمة والعلماء . لقد أدركت القوى الاستعمارية والصهيونية والأرستقراطية المصرية أن الصدام قد أصبح وشيكًا . وأن حجم الانتهاك لمشاعر الأمة قد أصبح لا يحتمل وكان من الطبيعي أن تقوم تلك القوى بالعمل على إبعاد العلماء عن الجماهير تمهيدًا للاستفراد بتلك الجماهير وتمرير المزيد من المخططات المعادية للأمة .

كان الشيخ أحمد المحلاوي وبتراثه الطويل في الوقوف مع الأمة هو الملاذ والملجأ وكان من الطبيعي وبالتالي أن يكون الشيخ أحمد هو أول أهداف القوى المعادية للأمة . وهكذا وفي يوم ١٦/ ٧/ ١٩٨١ صدر القرار بإيقاف الشيخ أحمد المحلاوي عن العمل في المسجد .

لقد صدر القرار . وجاء إلى مديرية الأوقاف بالإسكندرية واتصلت مديرية الأوقاف بالشيخ أحمد وأبلغته أنه قد جاءت إشارة مؤداها وقف الشيخ أحمد المحلاوي عن العمل وانتداب إمام آخر للمسجد وتبليغ الأمن بذلك .

وفي مساء ١٦/ ٧/ ١٩٨١ جاءت للشيخ أحمد إشارة من مديرية الأمن تقول « مدير أمن إسكندرية ـ إدارة البحث الجنائي ـ فضيلة الشيخ أحمد المحلاوي . برجاء التواجد بمكتب المدعى العام الاشتراكي صباح يوم السبت ١٨/ ٧/ ١٩٨١ أمام السيد الأستاذ رفيق الدهشان وذلك للأهمية . وتفضلوا بقبول الشكر . مدير إدارة البحث الجنائي . عادل إسماعيل » .

وكان ذلك يوم الخميس ١٦/ ٧/ ١٩٨١ وأدرك الشيخ بحسه الرباني أن ذلك يعني ببساطة قرار الوقف أولا ثم لفصم الصلة التي بين الشيخ وجماهيره يستدعي الشيخ إلى مكتب المدعى العام الاشتراكي يوم السبت . وبالتالي لا توجد فرصة للشيخ للتفكير والاتصال بالجماهير حيث أن الأحداث متلاحقة مما يوقع الشيخ في الارتباك .

وكان على الشيخ أن يأخذ قراره بسرعة . ووازن الشيخ بين أمرين إما أن يصلي الجمعة كعادته في المسجد ويتجاهل قرار الإيقاف وإما أن يمتنع عن الذهاب إلى المسجد في يوم الجمعة انتظارًا لتحقيق المدعى الاشتراكي وكان الأمر الثاني يعني أن يصاب الناس بمرارة بالغة ربما تترجم في رد فعل عنيف تجاه النظام وخصوصًا أن الشباب قد جاءوا إلى الشيخ وأدرك الشيخ كم كان الجو مكهربًا وقرر الشيخ ألا يترك الجماهير وحدها وأن يبسط كل الحقائق أمامها وأن يخوض المعركة معها قرر الشيخ أن ينزل إلى المسجد ويقوم بخطبة الجمعة فهذا واجبه أمام ربه ثم أمام أمته .

كانت كل مصر مع الشيخ . الفقراء والمستضعفون والشرفاء من كل القطاعات . وجاءت مصر كلها عبر الوفود من كل مكان إلى المسجد . وصعد الشيخ المنبر . وكان موضوع الخطبة هو معركة ما وقع بين الرسول وصحابته ضد قريش ولكنها كل معركة بين الحق والباطل .

وفي تحليله لمعركة بدر قال الشيخ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله

الرحمن الرحيم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران] ـ لقد جمع الله بين المسلمين وكانوا قلة على غير تعبئة وبين المشركين وكانوا كثرة قد أعدوا عدتهم . جمع الله بين فئتين . فئة تقاتل في سبيل الله . وفئة أخرى تصد عن سبيل الله . بين جماعة يقول زعيمهم ـ « اللهم إنهم جياع فأشبعهم ـ عراة فاكسهم . حفاة فاحملهم » وبين جماعة يقول زعيمهم المتغطرس « واللات والعزى لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم عليه ثلاثًا وننحر الجزور ونشرب الخمور . وتغنينا القيان » جمع الله بين فئتين فئة له وليس معها من أسباب النصر إلا هو. وفئة أخرى معها عدة الأرض كاملة ولكن ليس معها الله عز وجل.

وقال الشيخ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنفال].

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ [الأنفال] واستنتج الشيخ أن المؤمنين إذا ما صدقوا ما عاهدوا الله عليه وبذلوا جهدهم وأقبلوا على ربهم مخلصين . فإن مدد الله لابد آت ونصره لابد محقق

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ .

وختم الشيخ خطبته بتلك الكلمات « أيها المسلمون ، لا ينبغي النكوص عن واجب خوفا من تضحية فما ذل المسلمون ولا هانوا إلا يوم حرصوا على الدنيا وانكبوا عليها .. أيها المسلمون لن نُساوم في ديننا . لن نتخلى عن مبدئنا . لن نخضع لتهديد أو إرهاب ـ لن نستسلم أو نستكين ـ نحن نعلم ونؤمن أن ما

أصابك لم يكن ليخطئك . وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك » .

نحن قد صممنا أن نفدي ديننا بدمائنا . وأسلمنا أمرنا لربنا .

وهكذا قال الشيخ كلمته . أعلن وقوفه مع الأمة ضد الفساد والتسيب والطغيان حمل الشيخ هموم الأمة . ولم يقبل أن يتركها وحدها في العراء أمام القوى الشيطانية . وكان على الجماهير أن تقول كلمتها .

وبالوعي التلقائي المميز للأمة في كل مراحل تاريخها . أعلنت الجماهير كلمتها . خرجت هتافات أكثر من مليون في المسجد وحوله تدوي في ضمير التاريخ وفي وعي الأمة . « إسلامية . إسلامية . لا شرقية ولا غربية .. إسلامية إسلامية لا صليبية ولا يهودية . « يسقط عملاء الصهيونية . لا إله إلا الله . محمد رسول الله . عليها نحيا . وعليها نموت . وفي سبيلها نجاهد . وعليها نلقى الله ـ « في سبيل الله قمنا ـ نبتغي رفع اللواء ـ لا لحزب قد عملنا . نحن للدين فداء . فليعد للدين مجده . أو ترق منا الدماء » .

وقامت الجماهير لتبايع الشيخ المجاهد تلك البيعة التاريخية الفذة : نعاهد الله تعالى ـ الذي أحببنا من أجله أحمد المحلاوي ـ أن يظل إخلاصنا له . وقوفنا معه ما دمنا على الطريق ـ ونعاهد الله أن نكون رهن إشارته . وطوع استدعائه في أي وقت من ليل أو نهار أو ضراء أو سراء حتى نلقي الله أعزة يرضي عنا . ويعلم أننا أحفاد خالد وأحفاد عمار بن ياسر . وأحفاد الشهداء من المسلمين . وأننا أحفاد رسول الله وأحفاد حمزة بن عبد المطلب الذي قطع ومضغت كبده . وأن نكون أوفياء أخوة نتسابق في حماية بعضنا البعض نكون جسدًا واحدًا على اليهود وعلى النصارى وعلى المرتدين وعلى المارقين وعلى الفاسقين وعلى الظالمين وعلى الحكام المعربدين الذي استذلوا البلاد وضيعوا العباد وأفقروهم وأجاعوهم اللهم فاشهد بيعة نقابلك عليها .

ولتكتمل البيعة التاريخية . بين الأمة والعلماء قام العالم الأزهري المجاهد سيد على محمود شحاته إمام وخطيب بأوقاف الإسكندرية . فقال العالم المجاهد : أيها المسلمون . إن الشيخ المحلاوي رجل قام بواجبه تجاه الله ونحن جميعًا نعلن أننا جميعًا نضع أموالنا ملكًا للشيخ المحلاوي . ويوم أن يصاب المحلاوي بخدش واحد

في ثوبه لابد أن تراق الدماء وليعلم الجميع أننا جميعًا سوف نعتصم في هذا المكان من أجل المحلاوي وأن السجن أحب إلينا من الذل ، إنني أعلن باسم زملائي علماء الأوقاف أن الجنة خير لنا والدنيا ليس فيها شيء كل من عليها فان .

ومرة أخرى يتكلم الشيخ أحمد المحلاوي . واستكمالاً لتلك الصلة بين العلماء والجماهير يوضح الشيخ أحمد أن القضية ليست قضية فرد . وإنما هي قضية أمة بدأت تصحو لتتصدى لأعداء الله من الاستعمار والصهيونية وأن القوى الشيطانية قد حددت مطالبها بوضوح في إبعاد العلماء المجاهدين عن الجماهير . هكذا فإن المسألة على حد قول الشيخ أكبر من السادات.. إن إيقاف الشيخ أحمد مطلب أمريكي صهيوني وأن الشيخ سوف يقدم قربانًا لأمريكا وإسرائيل باعتبار أن الشيخ هو المعارض الرئيسي لكامب ديفيد ولسياسة الانفتاح الاقتصادي .

ومرة أخرى جدد الشيخ موقفه ضد أمريكا والصهيونية والفساد والرشوة ومطالبته بإصلاح الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على أساس أن هذا هو واجب العلماء دائمًا .

وهكذا كانت لحظة فذة في تاريخ الأمة وتاريخ فيها . والتحم العلماء مع الجماهير وبدا أن فجر الجماهير قريب . وكانت آخر لحظات اللقاء التاريخي أن حملت الجماهير الشيخ وهي تهتف « إسلامية إسلامية رغم أنف الرجعية » « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

وتعاهدت الجماهير مرة أخرى على متابعة الشيخ المحلاوي يوم دخوله كل مدن وقرى مصر .

الإمام الأعزل في مواجهة أجهزة السلطة

وفي يوم السبت ١٨/ ٧/ ١٩٨١ ذهب الشيخ إلى جهاز المدعى الاشتراكي لم يكن الشيخ مسلحًا بجاه أو سلطان لم يكن الشيخ مسلحًا إلا بقوة الله عز وجل ثم بالتفاف المسلمين حوله وكفى بهذا سلاحًا .

ومنذ الوهلة الأولى في تعامل الشيخ مع المدعى الاشتراكي وضح للشيخ أن المدعى الاشتراكي قد قصد أن يُفهم أن المسألة ليست مسألة قانون ولكنها مسألة فوق القانون فلقد أخبر المدعى الاشتراكي بطريقة فجة المحامي الذي حضر مع الشيخ بأنه ممنوع حضور المحامين فلما اعترض المحامي وطلب أن يريه قانونًا يمنع ذلك وبعد أخذ ورد خرج المدعى من الغرفة وغاب فترة ثم رجع وقال للمحامي : لا مانع أن تجلس ولكن لا تسجل اسمك ولقد رفض المحامي ذلك قائلاً : إنه لا يقبل منةً من أحد وأخيرًا خضع المدعى وحضر المحامي ولقد تساءل الشيخ متعجبًا « هل لا يعرف رئيس نيابة القانون ؟ أم تلك بادرة لها معنى محدد» .

ولقد كانت الملفات التي أمام المدعى الاشتراكي ضخمة بدءًا من شرائط للخطب منذ عام ١٩٨٠ . وتقرير من أمن الدولة ـ وتقرير من أوقاف وجهات متفرقة حتى خطبة الجمعة التي لم يمر عليها سوى ٢٤ ساعة كانت موجودة عنده ـ وبالطبع كانت التقارير كاذبة كانت التهم الموجهة على الشيخ كالآتي :

- التهجم على نظام الحكم .
- المساس بالوحدة الوطنية .
- المساس بمعاهدة السلام .
- إثارة الجماهير .

وكان رد الشيخ على التهمة الأولى أن لا يقبل الاحتكام إلا إلى كتاب الله . فإذا كان كتاب الله قد جعل من الرئيس أسطورة أو جعل منه قداسة لا تمس

حينها تصبح التهمة صحيحة ولكن إذا كان كتاب الله قد جعل منه فردًا عاديًا ، فإن من حقي ومن حق علماء الدين ومن حق كل صاحب رأي أن ينتقده لأنه يخطئ ويصيب .

وكان رد الشيخ على التهمة الثانية . أن النظام يعرف جيدًا من هو الذي داس الوحدة الوطنية بالنعال .. وقتل المسلمين .. وأقام المظاهرات .. إن هذا الأمر معناه وزن غير معتدل وكيل بمكيالين ثم إن قوانين الوحدة الوطنية قوانين غير منزلة إنها قوانين صنعها فرد وإذا قلت إنها قوانين قد استفتى عليها الشعب فأقول لك إنها استفتاءات مزورة. وإذا قلت : إن مجلس الشعب وافق عليها أقول لك إن مجلس الشعب انتخابات مزورة وبالتالي يصبح مرد الأمر كله إلى كلمة الحاكم وكلمة الحاكم غير مقدسة .

وكان رد الشيخ على التهمة الثالثة أنه إذن أنا أحاكم لحساب أمريكا وإسرائيل .

وبالنسبة للاتهام الرابع قال الشيخ إن الذي أثار الجماهير في الواقع هو من أصدر قرار إيقافي عن العمل في المسجد .

وأوضح الشيخ أن الأمر في النهاية هو محاولة إحنائه للسلطة وقرر الشيخ أنه لن يحنى رأسه إلا لله . وأن الموت جوعًا لن يجعله يخضع .

وفي نهاية الجلسة طلب المدعى الاشتراكي أن يعود إليه الشيخ في يوم الثلاثاء الموافق ٢١/ ٧/ ١٩٨١ . وحاول محامي الشيخ أن يفهمه أن هذا الأمر غير مقبول فليس من المعقول أن يأتي الشيخ إلى القاهرة خمس مرات ويمكن اختصار الأمر في جلسات متوالية ولكن المدعى أصر على رأيه .

وعاد الشيخ إلى الإسكندرية في مساء السبت . وتناول الشيخ فطوره وكان ذلك في نهاية رمضان ، ونزل إلى المسجد لصلاة العشاء وقرر الشيخ مع المصلين أن يبدأ الاعتكاف يوم الثلاثاء إحياء لسنة رسول الله وبالتالي فإنه لن يذهب إلى القاهرة أو إلى المدعى الاشتراكي وبالطبع كانت خطوط التلكس مفتوحة مع القاهرة وجاءت إشارة إلى الشيخ بتغيير الموعد إلى الإثنين ٢٠/ ٧/ ١٩٨١

وتفاهم الشيخ مع المحامي وأعلن المحامي أن هذا أمر مبيت لمنع الشيخ من الاعتكاف وقرر الشيخ عدم الذهاب وجاء أحد ضباط الأمن ليخبر الشيخ أن الأمر انتهى وأن المسألة لا تعدو أن تكون مجرد إجراءات قصيرة لا تستغرق سوى ساعة وكان ذلك الضابط يدعى أنه صديق للشيخ وأفهمه أنه اتصل بالجهات العليا وأن الخمس جلسات المقررة للتحقيق مع الشيخ قد تم إلغاؤها وسوف يكتفي بجلسة قصيرة يوم الإثنين وأن على الشيخ فقط ألا ينزل لصلاة العشاء يوم الأحد .

وكانت تلك خدعة للشيخ . فبعد منتصف ليلة الإثنين وفي حوالي الساعة الثانية والنصف جاءت قافلة من ثماني عربات لوري من الأمن المركزي مدججة بالسلاح ويمتلئ الشارع بالمسلحين بالمدافع والرشاشات والبنادق الآلية وأجهزة اتصال اللاسلكي .

كان هناك لواءات وعمداء وعقداء ومختلف الرتب وكان الشيخ أحمد تحول إلى كارلوس الشهير أو جيمس بوند الرهيب وليس مجرد شيخ أعزل ودخل الشيخ أحمد ليلبس ملابسه فدخلوا وراءه ـ مُنع ابن الشيخ من الاتصال بالتليفون ـ كانت بنات الشيخ وزوجته قد انخرطن في البكاء وكان الشيخ يحاول أن يهدئ من ثائرتهن قائلاً لا يصح أن تكون بيوت العلماء إلا صابرة لأن هذا قدر العلماء الشرفاء... كانت عربات البوليس تحيط بكل الشوارع .

ووصل موكب الشيخ إلى مبنى المحكمة في المنشية والتي كانت محاطة من كل الجوانب وأن الشوارع قد سدت بسيارات الأمن المركزي وبدأ التحقيق معه في نيابة المنشية وكانت نفس التهم هي نفسها في الأمن وفي النيابة وفي المدعى الاشتراكي ـ وبدأ الشيخ بسؤال رئيس النيابة هل أنت مقتنع بما تفعل ؟

ولم يكن وكيل النيابة وحده غير مقتنع . جاء كل رجال الأمن الذين اعتقلوا الشيخ ليعتذروا وأنهم لا دخل لهم في هذا الأمر وأنهم مغلوبون على أمرهم . وقال لهم الشيخ أين رجولة المصريين ؟ من المفروض ألا تنفذوا إلا ما تقتنعون به أو تستقيلوا لأن المناصب زائلة .

كانت كل مصر تسأل عن الشيخ ـ الوفود تأتي إلى الإسكندرية للسؤال عن

الشيخ . كان العلماء في كل مسجد يتكلمون عن قضية الشيخ وفي خطبة العيد كذلك كان هناك حديث عن قضية الشيخ أحمد المحلاوي . باعتبارها قضية الإسلام في كل مكان .

وتحركت أجهزة السلطة لتصغير حجم القضية . صوروا المسالة على أنها مجرد محاكمة الشيخ على التعرض لعرض زوجة الرئيس السادات ومن الطبيعي أن الشيخ لم يتعرض لعرض الرئيس السادات ولا لغيره وأن هذا أحد الأساليب القذرة لوضع القضية في غير وضعها الصحيح .

في الجمعة التالية ٢٤/ ٧/ ١٩٨١ حوصر مسجد القائد إبراهيم ومنع الشيخ أحمد من دخوله . وذهب الشيخ احمد ليصلي في مسجد عمر بن الخطاب وفجأة فرغ مسجد القائد إبراهيم من المصلين الذين ذهبوا إلى مسجد عمر بن الخطاب للصلاة خلف الشيخ المجاهد وأسقط في يد أجهزة السلطة . إن فراغ مسجد القائد إبراهيم من المصلين وانصرافهم إلى مسجد عمر بن الخطاب يعني أن جماهير الإسكندرية تقف وراء الشيخ وتحركت أجهزة السلطة بسرعة . فقامت باستقدام موظفي القطاع العام في أتوبيسات هيئة النقل العام للصلاة في مسجد القائد إبراهيم مقابل جنيه لكل من يؤدي الصلاة في المسجد ـ ومن الغريب أن يتواحد ثلاثة مسيحيون ساعة صرف الجنيه ليصرفوه على أساس أنهم أدوا الصلاة .

وحدث ذلك في الجمعة الثانية وفي الجمعة الثالثه ٧/ ٨/ ١٩٨١ قام الشيخ بشرح الموقف أمام المصلين وحكى للمصلين كل ما حدث له . وحدد الشيخ قضيته في أنه يحاكم لمصلحة أمريكا والصهيونية والصليبية وشرح الشيخ كيف أن خطباء المساجد ليسوا موظفين لدى الحكومة بل عند الله عز وجل وأن الأوقاف ليست ملكًا للحكومة ولكن ملكًا للخيرين من المسلمين الذين أوقفوها لصالح الدعوة الإسلامية . وتعجب الشيخ كيف يمتهن أحد العلماء في عهد السادات في حين أن الاحتلال الفرنسي أو الإنجليزي لم يجرؤ على عمل ذلك .

وكان موضوع الخطبة هو قضية الحكم في الإسلام وأوضح الشيخ أن الإسلام يعني الاستسلام الكامل لله في كل أمر وبالتالي لا يكون هناك سلطان لغير الله . والإسلام لابد أن يحكم كل ما يجرى في بلاد المسلمين فإذا جاءت جهات أو أفراد ليسلخوا من الإسلام جزءًا هامًا وهو الحكم ذلك الذي بين الله سبحانه وتعالى أنه ما لم يكن هناك حكم بالدين فلا إسلام ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فأولئك هم الظالمون ـ فأولئك هم الفاسقون ـ بل الله يجعل في مقابلة حكم الإسلام حكم الجاهلية ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ـ إن الإسلام لم يجعل خارج إطاره شيئًا فيما يجري في دنيا الناس .

فماذا ترك الإسلام بعد ذلك حتى يأتي من يريد أن يجرد الإسلام من أهم مقوماته فيقول لا سياسة في الدين .

واستطرد الشيخ إلى مخطط الاستعمار بشأن الإسلام . ذلك الاستعمار الذي يريد أن يضع للمسلمين دينًا لا يقارن . دينًا لا يخرج من أبواب المسجد دينًا يجعل المسلمين راكعين ساجدين بلا فهم وبلا وعي وبلا دين ـ ولقد سار على نهج الاستعمار حكام يخافون من الإسلام على عروشهم المهتزة .

وأوضح الشيخ كيف أن الضوء الأخضر قد صدر من الرئيس السادات بتصفية الشيخ أحمد المحلاوي وذلك حينما تكلم الرئيس السادات في مؤتمر الحزب الوطني عن أئمة المساجد وراحت كل الأجهزة تعمل ضد الشيخ ـ جهاز المدعى الاشتراكي ـ وجهاز الأمن ـ وجهاز النيابة العامة وحتى الصحافة فقد أشارت صحيفة مايو إلى رسالة أحد الصحفيين الأمريكيين حول قيام المساجد بعمل معارضة تشبه معارضة الخميني في إيران وأن علماء الدين المسلمين قد أصبحوا خطرًا كبيرًا على النظام الساداتي ثم سرد الشيخ ما حدث له من اعتداء عليه والقبض عليه وتقديمه إلى النيابة وكيف أنه يرفض الاحتكام إلى غير كتاب الله وأنه بات يدرك أنه قربان مقدم من النظام للأمريكان والصهيونية وختم الشيخ كلمته بأن المسجد دائمًا كان منبعًا لكل الثورات .

خاتمة

كانت الأحداث تتوالى بسرعة . كان الرئيس السادات يفقد صوابه تجاه العلماء ورجال الدين تدريجيًا وفي يوم ٤ سبتمبر ١٩٨١ اعتقل الشيخ ودُهب به إلى سجن التجربة (وهو أسوأ السجون المصرية على الإطلاق ومخصص لكبار المجرمين والخطرين) ووقف السادات يخطب في الأمة مزهوًا في يوم ٥ سبتمبر بأن الشيخ البذيء (يقصد الشيخ أحمد المحلاوي) ملقى في السجن كالكلب .

كانت الأوامر تقضي بمعاملة الشيخ أسوأ معاملة . ولكن الله كان هناك كان في هذا السجن شخص يقضي عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بتهمة الإتجار في المخدرات وكان هذا الشخص يتمتع بنفوذ كبير داخل السجن بفضل ما يدفعه من رشاوي وإتاوات وشراء للذمم كانت أفخم الأطعمة تأتي إليه ساخنة أو باردة من أكبر المحلات في القاهرة وبنخوة مصري بسيط قرر هذا الرجل أن يشرك المحلاوي معه في طعامه أو شرابه بل لقد أرسل في طلب ملابس للشيخ وجاءته على وجه السرعة . بل إن ذلك الرجل قرر أن يصلي حتى يقبل الشيخ مشاركته في الطعام على أساس أنه ربما لا يقبل أن يشاركه بدعوى أنه لا يصلي وكانت مفاجأة للشيخ أن يجد أمامه طعاما لم يذقه في حياته وملابس فخمة وعدداً كبيرًا من الحراس رهن إشارته بحكم أموال ذلك الرجل التي تدفع لهم ويذهب السادات ويخرج الشيخ من السجن ـ والله غالب على أمره .